المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر يوم الاثنين غرة المحرم سنة ١٣٢١ — ٣٠ مارث (آذار) سنة ١٩٠٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وإمام الهداة والمصلحين ، وعلى آله وصحبه الراشدين المهديين ، وعلى من تبعهم بهديهم الى يوم الدين ،

وبعد فقد بلغ المنار بفضل الله وتوفيقه السنة السادسة وهذا أول جزء منها ، ولله مزيد الشكر والثناء ، أن أعطانا فوق ما تعلق به الأمل والرجاء ، وزادنا على ما كنا نتوقع من زيادة القراء والمشتركين ، عددا صالحًا يدخل في عقود المئين ، من غير دعاة مندوبين ، ولا وكلاء مستخدمين ، الا ترغيب أهل الغيرة الملية ، وتنبيه ذوي الأريحية الإسلامية ، صادفا من قلوب إخواننا المسلمين شعوراً ينمو ، ووجدانا يسمو ، وعلما بالحاجة الشديدة الى توثيق الرابطة الدينية ، وإحكام عقدة العقائد الإسلامية ،

والجمع بين مجاراة الأمم المعاصرة ، وحفظ ما فيه حياة الدار الآخرة ، من العقائد الصحيحة ، والاخلاق الفاضلة ، والأعمال النافعة ، وهذا ما أنشئ المنار للدعوة اليه ، وهو عين ما يدعو اليه الاسلام ، ما زدنا فيه ولا نقصنا منه ؛ وإنما نتوخى بيانه ، ونقيم برهانه ، بما يناسب حال الزمان ، وما انتهى اليه رقيّ الانسان ،

لقد أتي على المسلمين حين من الدهر وهم في مرض اجتماعي يشبه داء السكتة ؛ تعيث في جامعتهم جراثيم المرض وهم لا يشعرون ، وتهددهم بالفناء والزوال ولا يعلمون ، حتى اذا فار التنور ؛ وجاء القدر المقدور ، تخرق حجاب الغرور ، وطفق يدب دبيب الشعور ، ولكنه شعور يظهر أنه زاد الأمة مرضا ، حتى كادت تكون حرَضا ، شعور هبط ببعض ذويه في مهاوي الإياس ، وطوّح ببعضهم الى مرامي الوسواس ؛ فكان انتقالا من طور الخدر والسُّبات ، الى طور الحيرة والشتات ، ولَحَيْرَةٌ في الفكر ، وشتاتٌ في الامر ، خير من خدر الحواس ، وفقد الإحساس ، لأن هذا من أمارات العدم والزوال ، وذاك من علامات الحياة على كل حال ،

ذهب أقوام في هذه الحيرة الى ان وقاية المسلمين من الخطر إنما تكون بالاعتماد على الأمراء والسلاطين ؛ والاستماتة في الخضوع لهم وتقديس سلطتهم ، لأن الخطر إنما يتذرنا من الجانب الغربي جانب القوة القاهرة ، والمدنية الساحرة ، ولو كنا وان جاروا هم القابضون على بقايا ما عندنا من القوة التي نكافح بها تلك القوى ؛ فلا بدّ من تعزيزهم وتعزيرهم ، وإجلالهم وتوقيرهم ، بل لا بد لنا من تنزيههم وتقديسهم بكرة وأصيلا

وذهب آخرون الى أن الملوك والأمراء قد استبدوا بسياسة الأمة

بدون مشاورتها قرونا طويلة فما كان منهم الا أن أوقعوها فى هذا الضعف والهوان ، والفقر والخذلان ، والجهل بأمر الدنيا والدين ، لأجل الخضوع الأعمى لهم وان كانوا ظالمين ، واذا كانوا هم مصدر الشرور والفتن، ومثار البلايا والمحن ، فأول واجب على الأمة مقاومة استبدادهم ، ومقاواة استعبادهم ، وإلزامهم بالمشاورة فى الأمر، وتقييد السلطة في الحكم ، وإعلامهم بأنهم أُجَراء الرعية ، كما قال أبو العلاء ، حكيم الشعراء :

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدَوْا مصالحها وهم أجراؤها

وبذلك يصلح الحال ، وتتحقق الآمال ، ونثق من حسن الأستقبال، وأما دوام الاستنامة فى الخضوع للمستبدين ، فأنه يردينا فى اسفل سافلين، فهم الذين يجهزون على ما أبقى أسلافهم من قوى الأمة الحسية والمعنوية، وهم الذين يساومون بقية بلاها للدول الاجنبية ،

الآن الفريق الأول أكثر عددا ، وأغزر مددا ، والفريق الثاني أكثر علماء وأبعد فهما ، ولكل منهما صحف منشَرة ، وجرائد محررة ، ولكن جرائد حزب القوة أعز أنصارا ، وأكثر دينارا ، والنجاح من حجج القوة على الضعف وما كل ناجح محق ؛ وما كل خائب مظلوم ؛

وقد فات حزب المحافظين أنهم يطلبون بناء ما كان على ما كان . فاذا طلب أحدهم إصلاحا فانما يطلبه في فرع من الفروع ؛ ولا إصلاح الا بصلاح الاصول « متى يستقيم الظل والعود أعوج » . وفات حزب المعارضين أنهم لا يدرون من يطالبون ، ولو دروا لعلموا انهم يلغون ويعبثون ، فانه لا تقويم الحكام إلا الأمة المتعلمة المهذبة فالسعي في تكوين أمة عالمة مهذبة هو الواجب الاول على الذين شعروا بمصاب المسلمين وأبصروا من وراء الحجاب

ما كان لهم من الفوائد والمزايا ، ولا طريق لهذا التكوين الا التربية الملية الصحيحة والتعليم العام ولا يكمل هذا الا في المدارس الكلية كما سبق لنا القول

هذا رأي لا يختلف فيه أهل البصيرة من عقلاء المسلمين ولكن هؤلاء لم يبلغوا أن تكون لهم صحف تنشر ، وجرائد تدعو — على أن كل الصحف عون لهم — حتى إذا ما انشئ المنار كان هو صحيفتهم لأنه لم ينشأ لمقاومة سلطة ولا حكومة ولا لمدح سلطان أو أمير ولا لذمها وإنما أنشئ لمساعدة العقلاء على السعي في « تكوين الأمة » من طريق التربية الملية والتعليم النافع . ولذلك قلنا في مقدمة العدد الأول إن الغرض الاول من المنار الحث على التربية والتعليم لا الحط على الامراء والسلاطين ، الخ وقلنا في أواخر مقالة نشرت في العدد ١٦ من السنة الاولى عنوانها (الى أي تربية وتعليم نحن أحوج) بعد كلام في تعلم الفنون العصرية بصبغة أوربية ما نصه :

« فيجب على العلماء والكتاب الشرقيين ان يوجهوا عنايتهم الكبرى الى هذا الامر « تكوين الامة » ويجتهدوا فيه قولا وعملا ، ويجب على مؤسسي المكاتب والمدارس الوطنية ومعلميها وأساتذتها أن يجعلوه نصب أعينهم وأهم ما يدور عليه تعاليمهم بحيث يغرسون في قلب كل تلميذ أن حياته كلها لامته وبلاده وان علمه وعمله لا شرف له فيهما الا اذا صرفهما لمنفعة الامة والبلاد » الخ

في طريق هذه التربية وهذا التعليم عقبة في طريق المسلمين يتعسر اقتحامها وهي سوء فهم الدين وتقليد الجاهلين بعضهم لبعض فيه . لهذا كان الاصلاح الديني شرطا في الاصلاح المدني أو شطرا منه في وضع الاسلام الذي جمع بين مصالح الدارين . وليس المراد من جعل المنار دينيا الا بيان

ماهو الدين على وجهه الحق والتفرقة بينه وبين ماليس من الدين في شيء وكيفية الجمع بين مصالح الروح والجسد . وكل هذا مما يتقبله جميع المسلمين بالإجمال ؛ وفي التفصيل مزلة الاقدام ، ومضلة الاقوام ؛

ومن مقدمات الاصلاح إحياء اللغة اذ لا أمة بدون لغة حية ، ومنها إزالة حجب الغرور ، عن حقائق الأمور ، ومن هذا القبيل ما ينشر أحيانا من النبذ الأدبية والتاريخية ومن جوائب الاخبار ، التي تتضمن العظة والاعتبار ؛

هذا هو موضوع المنار نشير اليه على رأس كل سنة . لا ينازع حزبا من الاحزاب في مشربه ولذلك سالمه أصحاب الجرائد السياسية — من وقف نفسه منهم على مدح الامراء والسلاطين ومن وقفها على ذمهم ، ومن رضي بنفوذ الحكومات الاجنبية في البلاد التي يسكنها ومن سخط عليها ، وسالمه أيضا أصحاب الجرائد الملية والدينية وسالمهم الامن استهواه الغرور فطعن في أصول الاسلام الاعتقادية أو الادبية أو العملية فرد المنار طعنه ، وأخرج ضغنه ؛

وجملة القول ان المنار قد جاء بمشرب جديد استغربه الأقلون ، وتجهمه الاكثرون - استغربه من ذاقه فعرفه ، وتجهمه من جهله فما أنصفه ، أولئك أسرى التقليد ينفرون من كل جديد الا أن يكون بدعة دينية ، ويفرون من كل داع الا ان يدعو الى الفتنة بعصبية ، يألفون ماهم فيه ، ويتنكبون طريق تلافيه ، يطلبون النجاة من الشقاء ، ويصرون على أسباب البلاء ، يهرب مدعي العلم فيهم من المناظرة ، وينبري المعترف بالجهل منهم الى المماراة والمهاترة ، يتبرأ زعيمهم من الدليل المعقول والمنقول ، ويحاول أن يقلد في كل